جسد المسيح

ووحدة الجنس البشري

"مجتزأٌ من كتاب الإنسان صورة الله ومثاله"

"قيد الإعداد"

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢١

www.coptology.org

إذا تذكَّرنا أن الجسد هو ما يجمع الكل معًا، وأن الجسد هو أساس وحدة الجنس البشري، فإننا نستطيع أن ندرك على الفور كم هو هامٌ جدًا، بل وأساسيٌّ أن نعتمد على جسد المسيح في كل شيء.

الخلاص والفداء بجسد المسيح:

يقول الرسول: "هَكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: فإذ كنّا أطفالًا كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ لأَرْكَانِ الْعَالَمِ. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غلا ٤: ٣-٥)، وهذا يساعدنا على فهم التعبير الخطير والهام الذي يحتاج إلى وقفة طويلة "الرب للجسد" Ο κύριος τῷ σώματι في (١ كو ٦: ١٣): "وَلَكِنَّ الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزِّنَا بَلْ لِلرَّبِّ وَالرَّبُّ لِلْجَسَد"، إلى جسد الإنسان، إلى حيث الخطية والعالم والموت، دخل رئيس الحياة بجسدٍ لكي يخلِّص ويفتدي ويغيِّر هذا الجسد.

وعلينا أن نعود إلى العهد القديم وإلى سفر التكوين بالذات، لكي ندرك ما هي حالة الإنسان، وكيف أحدث التجسُّد تغييرًا في طبيعة الإنسان؟

١- الإنسان خاضعٌ للموت، بل مُستَعبَدٌ له. الموت في العبرانية ليس ظاهرةً طبيعيةً. الإنسان كجسد σἄρξ هو من الأرض (١ كو ١٥: ٤٨)، ولكنه لم يكن خاضعًا للموت أصلًا، بل حدث هذا لسببٍ معروف: "ترابٌ أنت وإلى التراب تعود" (تكوين ٣: ١٩)، وهي عودة الإنسان إلى حالته الأولى التي جاء منها، ذلك أن الإنسان أصلًا مختلفٌ عن الحيوان وعن النبات وكل عناصر الطبيعة

الأخرى، لأنه مخلوقٌ على صورة الله، وقد دعاه الله إلى علاقةٍ فريدةٍ، إلى أن يظل دائمًا "للرب"، ولكن بالخطية فَقَدَ الإنسان هذه العلاقة، وهو سيعود إلى التراب. أن يموت الحيوان، هذا طبيعي، ولكن أن يموت الإنسان، هذا غير طبيعي. كانت لعنة الخطية وعقوبتها، العودة إلى عدم الحياة أو الموت (رومية ١: ٣٢)، وأصبح الإنسان في هذا الوضع الغريب عليه أن يرى أن الموت هو نهاية الحياة، وهذا في حد ذاته أكبر ما يواجهه من المشكلات.

لكن الإنسان، كردٍّ فعلٍ للموت، أصبح يعيش للجسد، وأصبح يهتم جدًا بذاته لأنه يرى أن كيانه مهددٌ بالموت، وهنا يجب أن ندرك أن الحياة للجسد هي – بدون أدنى درجة من الشك– الابتعاد عن الله، والاكتفاء الذاتي بما في الحياة الإنسانية، أي بما في الجسد من قدرات واحتياجات، وأصبحت حالة الاكتفاء الذاتي هذه هي أحد الاسباب الرئيسية لامتناع الإنسان عن الاقتراب من الله. وهكذا، تحت تأثير الموت، وَصَفَ الرسول الإنسانية: "إذا عشنا للجسد يجب أن نموت" (رومية ٨: ١٣)، يجب أن نموت لأن مَن "يزرع لجسده من الجسد يحصد فسادًا" (غلاطية ٦: ٨)، وثمار وهدف كل هذا هو الموت. ويعبِّر بولس عن هذا بعبارةٍ قويةٍ: "اهتمام الجسد هو موت" (رومية ٨: ٦)، ولكن اهتمام الجسد هو *the mind of the flesh*. لذلك السبب وحده، وَصَفَ الرسول بولس العهد القديم بأنه: Διακονία τοῦ θανάτου أي خدمة الموت، أي الخدمة القائمة على الإنسان وهو ميت، ويقول عنها بكل وضوح: "كانت خدمة الموت المنقوشة في حجارة قد اكتُنِفت بالمجد حتى لم يستطع بنو اسرائيل أن يحدِّقوا في وجه موسى بسبب مجد طلعته ولكنها زائلة" (٢ كو ٣: ٧)، وكانت قوة خدمة العهد القديم

قائمة على الحرف، على ما يقتل، لأن الحرف يخلق البر الذاتي، ويخلق حالة الاكتفاء الذاتي.

كانت نهاية الحياة إذًا هي الموت. هذا الموت جاء بإنسان (١ كو ١٥: ٢١)، وليس الموت هنا هو نهاية بيولوجية، وإنما مرتبط بحالة العصيان. ولكن الموت انتشر في كل البشر بسبب إنسان واحد رغم أن الكل لم يخطئ ذات الخطية التي أخطأها آدم (رومية ٥: ١٢)، ولكن معصية الواحد كانت كافية لأن "يملك الموت حتى الذين لم يخطئوا على مثال تعدِّي آدم" (رومية ٥: ١٤)، وهكذا يظهر بكل وضوح أن الموت ظاهرة عالمية، وأنه خاتمة الحياة الإنسانية، وأصبح الإنسان يُوصَف بأنه يحيا "جسد الموت" (رومية ٧: ٢٤)، ولكن هنا، التناقض صارخٌ بين "جسد – الموت"، أي الحياة والموت، لأن الحياة لم تُخلَق للموت. وهكذا ساد الموت، وأصبح أحد القوى التي تُخضع الحياة ليس لله، وإنما للتدمير. هذه القوة تسود العالم الحاضر أو الدهر الحاضر إن شئنا ترجمةً دقيقة. وهي القوة التي تعمل في "أبناء المعصية" (أفسس ٢: ٢)، ولما كان الموت هو قوة الدهر الحاضر، أصبح الانتصار على الموت هو انتصارٌ على آخر الأعداء عندما يصل الدهر الحاضر إلى نهايته (١ كو ١٥: ١٦)، أي عندما يتم القضاء على كل ما يُنكر استمرار الحياة لله وبقاء محبة الحياة لله.

ولذلك يصوِّر الرسول الموتَ كعدوٍّ يحطم الحياة التي خلقها الله "آخر عدو يُبطَل هو الموت" (١ كو ١٥: ٢٦)، وهذا يعني بكل وضوح أن الإنسان مُستعبَد (رومية ٦: ١٦) وتحت سلطان الموت (رومية ٦: ٩)، ولكن الموت يظهر بشكله الواضح في نهاية الجسد وتعفُّنِه وتلاشيه في النهاية، وأصبح الإنسان ككائنٍ يُوصَف

بأنه ميّتٌ، والكلمة اليونانية رهيبة "الإنسان هو νεκρός" (أفسس ٢: ١)، وهذا هو قمة انتصار الخطية. لقد سادت على الحياة، وفي النهاية تحوَّل الجسد أو الحياة إلى تراب وإلى التعفن. ولكن المسيحي الذي اتحد بيسوع وقام معه، لا يموت، بل "ينام"، "يرقد"، كل هذه تعبيرات تفيد الانتظار، فينام المسيحي حتى ينتهي هذا الجيل، أي هذا العالم الحاضر الشرير (١ كو ١٥: ٥١)، وعندما ينتهي هذا الدهر الشرير، يقوم ويقول للموت: "أين هو انتصارك يا موت؟" (١ كو ١٥: ٥٥).

٢- العلاقة بين الموت والخطية علاقة مشاركة في اقتسام الإنسان. لقد "ملكت الخطية بالموت" (رومية ٥: ٢١)، صارت الخطية هي مجال الموت، أو الوكيل الذي يساعد الموت على الانتشار (رومية ٥: ١٢)، هي شوكة الموت (١ كو ١٥: ٥٦)، أي أن الموت استخدم الخطية، أو وظَّف قوة الخطية لكي تقتل الإنسان. وهكذا، الإنسان مُستَعبَدٌ ليس للموت فقط، بل للخطية (رو ٦: ٦ و١٧ و٢٠). ولأن الإنسان مُستَعبَدٌ للخطية، أصبحت حرية الإنسان فرصةً للمعصية (رو ٥: ١٩)، وأصبحت الحرية، وهي أثمن عطية نالها الإنسان، هي القيد الذي يجعله بعيدًا عن الحياة لله. وأصبحت الحرية بسبب الخطية استعبادًا، وفَقَد الإنسان سيطرته على نفسه، ونشأ التعارض الرهيب بين ما يريده الإنسان، وما هو قادر على أن يحققه فعلًا، وأصبحت الإرادة مشلولة بسبب الشلل الذي أصاب الطبيعة الإنسانية، وهو ما يعبِّر عنه الرسول ببلاغة: "لست أنا الذي أفعل، بل الخطية الساكنة فيَّ هي التي تفعل" (رومية ٧: ١٧-٢٠)، وهكذا فقدت كلمة "أنا" كل حتمية وجودية مرتبطة بالحرية، صار للخطية ناموسٌ *law*، وأصبح الإنسان سجينًا (رومية ٧: ٢٣)، بل صارت الخطية "مَلِكًا" (رومية ٥: ١٤)، بل سيدًا (رومية ٦:

١٤)، ومن هنا جاء التعبير إن الإنسان مُباعٌ مثل القنية، مُباعٌ للخطية (رومية ٧: ١٤)، وفي عبارةٍ واحدة كافية لشرح الموقف كله: "أُغلق على كلِّ شيء تحت سلطان الخطية" (غلا ٣: ٢٢).

٣- العلاقة بين الموت والناموس هي علاقة التآخي. صار الناموس خادمًا أو منفِّذًا لكل ما تريده الخطية. الموتُ يأتي بالخطية (رومية ٥: ١٢)، ولكن الخطية تأتي بالناموس (رو ٧: ٥). وبواسطة الوصايا حصلت الخطية على "سبيلٍ - ἀφορμή" في الإنسان (رومية ٧: ٨ و١١)، والكلمة تعني أن الخطية حصلت على فرصةٍ أو طريقٍ تسير عليه داخل الإنسان، منه تعمل وتسود على الطبيعة الإنسانية. ومع وجود تعارض بين الخطية والناموس، صارت قوة الخطية في الناموس (١كو ١٥: ٥٦)، ذلك أن الناموس يعني الطاعة، ولكن الإنسان خاطئٌ، وبذلك يقف الناموس ضد الإنسان ومع الخطية. الناموس مرتبط بالموت، كلُّ مَن يتعدَّى الوصايا يموت، وبذلك وبسبب فساد الإنسان، صار الناموسُ حليفًا قويًّا للخطية ضد الإنسان.

الجسد σάρξ ليس شريرًا، ولكنه مُستَعبَدٌ للخطية. الجسد بالضرورة ضعيفٌ، بل يُخدَع (رومية ٧: ١١)، ولذلك -بسبب الضعف- يبحث الجسد عن "الفرصة" (غلا ٥: ١٣)، يصارع الناموس لكي يجد فرصةً لكي يتمتع بها، ولكن كلما مَنَعَ الناموسُ شيئًا، كلما أحسَّ الإنسان بأن كيانه مهدد، وأن فرصة المتعة قد ضاعت، ولذلك يُولِّد المنعُ لهيبَ الرغبة في الإنسان (رومية ٧: ٥ و٩)، وهكذا صار الإنسان مُستعبَدًا للناموس مثلما استُعبِد للموت والخطية (غلا ٤: ١ - ٧ ثم ٥: ١). وأدق وصف للإنسان أنه "تحت الناموس" (رو ٦: ١٤ - غلا ٤: ٢١)

تمامًا كما هو تحت الخطية، هو مُستَعبدٌ للناموس (رومية ٧: ٦)، وتحت سلطانه (رو ٧: ٦)، وخاضعٌ مثل الأسرى للعنة (غلا ٣: ١٣).

في عبارة واحدة يمكن أن يلخِّص لنا بولس الموقف: "الخطية تخدع الإنسان عن طريق الوصية. وبالوصية نفسها، أجدُ نفسي ميتًا" (رو ٧: ١١)، وأصبح الناموس يقود إلى الخطية، ثم الخطية تقود إلى الموت (رو ٧: ٥)، وهذه الحلقة المغلقة تمامًا علينا سببها أننا "في الجسد"، وهنا "الجسد" حسب تعبير بولس: هو ما نحن ممسكين به وفيه (رو ٧: ٦)، أي قاعدة العبودية.

إلى أن جاء المسيح. فعندما تجسَّد، جاء إلى مجال الأعداء الثلاثة. كان تجسَّدُه اتصالًا مباشرًا، بل اتصالًا طبيعيًّا بالخطية – الموت – الناموس. ولكن علينا أن نحلل بدقة؛ ما الذي فعله المسيح مع كل من هؤلاء، وهم البناية الواحدة للشر، والتي دخلها المسيح كإنسان؟

ماذا فعل المسيح لأجلنا، ولماذا تجسَّد؟

كان أول ما فعله المسيح هو أن يدخل إلى حدود الشر. أن يدخل إلى أعماق سيادة الخطية والناموس والموت. كان هذا المجال مغلقًا تمامًا أمام الله أو أمام الطبيعة الإلهية، ولذلك، كان غزوه هو بالجسد، بالطبيعة الإنسانية. ولكن، وبكل أسفٍ، إن ما يذكره القديس أثناسيوس الرسولي في كتابه "تجسد الكلمة" من أن المسيح أخذ الطبيعة القابلة للموت والفساد، وهو تعليم العهد الجديد، يبدو غريبًا، بل غير مقبول لدى عدد كبير من الناس، ولكن لو كان المسيح قد أخذ طبيعة آدم قبل السقوط، فما الذي حققه لنا؟ لا شيء.

على أية حالٍ، فالمسيح وقف في مكان الإنسان وهو يواجه الأعداء الثلاثة:

١– من ناحية سلطان الموت. أخذ المسيح جسدًا، أي أخذ "صورة العبد"، ولاحِظ أن الرسول يقول: صار في "شبه البشر" (فيلبي ٢: ٧)، والاشارة هنا ليست إلى تواضع المسيح، بل إلى حقيقة الإنسان. لقد أخذ المسيح شكل الـ δοῦλος أي وُلِدَ كعبدٍ، وُلِدَ كأي إنسان خاضع لأركان العالم (غلا ٤: ٣)، وهكذا صار المسيح في المملكة التي يسود عليها الموت. "أخذ جسدًا قابلًا للموت" حسب تعبير أثناسيوس، وكأي ابن إنسان كان عليه أن يموت، ولذلك، في الوقت المناسب، استطاعت القوات التي تحكم هذا الدهر أن تسلِّمه للموت (١ كو ٢: ٨)، ولكن المسيح لم يسمح لهذه القوات بأن تسود عليه، وأن تجعل حياته بعيدةً أو مضادةً للآب، ولذلك، كان الرسول بولس دقيقًا جدًا في التعبير عن المسيح، لأنه لا يقول إن المسيح مثل كل البشر استُعبِد، بل أخذ صورة أو شكل العبد μορφήν δούλου أي الطبيعة الحقيقية لكل إنسان، أخذ شكل العبد دون أن يكون عبدًا، أخذ الطبيعة القابلة للموت دون أن يكون هو قابلًا للموت، وصورة العبد تظهر بكل وضوح في حديث الرسول عن المسيح: "أطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي ٢: ٨)، والطاعةُ تعني أن العبد لم يكن تحت السلطان الذي استُعبِد له الآخرون.

٢– من ناحية الخطية "أرسل ابنه في شبه جسد الخطية" (رو ٨: ٣)، وحرف الجر "في" في اليونانية "ἐν" يعني فعلًا وحقًا أن المسيح جاء إلى الجسد الذي بطبيعته ينتمي إلى عالم الخطية. ولكن الرسول يؤكد أنه وُجِد في الطبيعة القابلة للخطية، ولكنه لم يخطئ، ويؤكد هذا بعبارة قوية: "صار خطيةً لأجلنا" (٢ كو ٥: ٢١)، والذي صار خطيةً يعني أنه لم يكن أصلًا خطية، وبولس بكل دقة لا يقول

إن المسيح خاطئٌ مثلنا، ولكنه يقول: "الذي لم يعرف خطية صار خطيةً" (٢ كو ٥: ٢١)، أي لم يسمح للخطية أن تسود عليه. بواسطة الخطية صار كل البشر عصاةً، لكن في صراع المسيح مع الخطية، كان المسيح في الطاعة الكاملة للآب (رومية ٥: ١٩)[١].

٣– أمَّا الناموس، فقد كانت علاقة المسيح معه واضحةً جدًا. لقد وُلِدَ من امرأةٍ، أي تجسَّد ودخل إلى حيث كل ما يخص الجسد، ولذلك وُلِدَ المسيح "تحت الناموس" (غلا ٤: ٤)، وكل مَن هو تحت الناموس هو "تحت اللعنة" (غلا ٣: ١٠)، واللعنة هي الموت، وقد قَبِلَ المسيح هذا عندما صار "لعنةً" لأجلنا، عندما عُلِّق على الشجرة[٢] (غلا ٣: ١٣) والرسول يختار مفرداته بعناية بالغة، لأنه يقول "صار لعنةً"، أي لم يكن ملعونًا.

موت المسيح بالجسد، وماذا يعني؟

كان موت المسيح موتًا غيرَ عاديٍّ بالنسبة للموت والخطية والناموس، ذلك أنه أول إنسان يموت في بناية استعباد الإنسان دون أن يكون خاضعًا لأيٍّ من هذه القوى، وهذا هو معنى انتصار المسيح.

كان الشرُّ قادرًا على الإنسان، يمتصُّه الإنسان ويعيد صياغته في شكلٍ جديد، ثم يعيده لغيره ويصبح هو وغيره مستَعبَدين للخطية.

ولكن المسيح قَبِلَ الصراع مع الشر على أساس أن لا يسود عليه الشر، بل

(١) لم يقل الرسول إن المسيح تحت الخطية، ولكنه قال عنه إنه تحت الناموس والموت. ويستعمل الرسول بولس هنا كلمة الخطية بمعنى فني معروف في العهد القديم، وهو "ذبيحة الخطية" (هو ٤: ٨)، أي أن المسيح صار ذبيحة خطية.
(٢) الشجرة = الخشبة والإشارة هنا إلى شجرة المعرفة.

أن يرد الشر بالطاعة، وكان على الشر أن يقتله، ولكن كانت حياة المسيح في مجال سلطان الشر دون سيادة الشر. دخل مجال الخطية بآلة الخطية، أي الجسد دون أن تسود عليه الخطية. ولذلك، كان من الضروري أن تقتله الخطية لأنه لم يخضع لها. وكان على الخطية أن تحرمه من الجسد، وأن تنزع منه الجسد، ولذلك سلَّم جسده، وماذا كانت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا؟ لا شيء، صارت قوة الخطية معدومةً تمامًا. وقد شرح القديس بولس هذا على النحو التالي:

أ- من ناحية الموت يقول بولس إن رؤساء الدهر الحاضر صلبوا ربَّ المجد، دون أن يعرفوه، أي صلبوه بجهلٍ (١ كورنثوس ٢: ٨). ولو كانوا قد عرفوا مَن هو، وماذا سيفعل بهم بعد ذلك، لَمَا صلبوه. ولكن بعدما صلبوه، لم يكن لهم أن يفعلوا أكثر من ذلك. أخذوا منه الجسد الذي أخذه، ولكن هذا جعله حُرًّا قادرًا على التحرك في اتجاهٍ جديدٍ مخالف تمامًا للاتجاه الذي كان من الممكن أن يؤدِّي إليه الصليب، وهو الموت الأبدي، أي البقاء في الموت إلى الأبد. يقول الرسول في عبارةٍ قويةٍ غامضة في اللغة العربية إنه على الصليب "جرَّد الرئاسات"، ولكن كلمة "جرَّدَ" هي الكلمة اليونانية ἀπεκδυσάμενος أي خلع من نفسه، أو خلع من جسده. وتستند هذه الترجمة على تفاسير الآباء، لا سيما أوريجينوس وكيرلس السكندري، واستخدام الرسول لفعل "يخلع" أو "يجرِّد" في (٢ كو ٥: ٣) ومن خلال الجسد، القوة المرتبطة بالموت والخطية والناموس التي تستطيع أن تحكم الطبيعة الإنسانية. لكن، عندما مات المسيح استطاع أن يجرِّد الموت من سلطانه، بقبوله لهذا الموت. ولما كان الموت قائمًا على الخطية، ولم يكن المسيح مستعبَدًا للخطية، كان من المستحيل أن يسود الموت حيث لا خطية، ولذلك قام المسيح من بين الأموات.

فَقَدَ الموتُ قدرته على السيطرة على المسيح (رومية ٦: ٩). ويقول الرسول بولس في (كولوسي ٢: ١١): "أنتم ختنتم ختانًا غير مصنوع باليد، أي خلع جسم خطايا البشرية، وهو ختان المسيح". وما نراه واضحًا هنا هو خلع الجسم، أي مشاركة ما قدَّمه المسيح على الصليب. وموت المسيح دُعِيَ معمودية (مر ١٠: ٣٨، لوقا ١٢: ٥٠)، والمعمودية والختان هما تعبيران عن حقيقة واحدة، وهي موت المسيح. وفي الختان يتم قطع جزءٍ من الجسد عندما تُبتَر الغلفة وتلقى بعيدًا. فهكذا بالموت تمَّ فصل الطبيعة التي يمكن للموت أن يسود عليها. ويقول الرسول أيضًا: "إن كان التعليم الذي ألقيَ عليكم مطابقًا للحقيقة التي في يسوع، ينبغي أن تخلعوا عنكم ما يخص حياتكم السالفة، الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، وأن تتجددوا في صميم أذهانكم وأن تلبسوا الإنسان الجديد الذي خُلق على مثال الله في البر وقداسة الحق" (أفسس ٤: ٢١ – ٢٤).

ب– من ناحية الخطية، يقول الرسول بولس: "أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية" (رومية ٨: ٣)، وليس هناك أقوى من هذا التعبير، ذلك أن الجسد، وهو مجال الخطية، أخذه المسيح، ولولا هذا الجسد لما أمكن للرسول أن يقول ذلك عن المسيح.

\+ \+ \+